(واو) الصفة في النحو

د. ليلى محمد علي
كلية الاداب / جامعة الموصل

مقدمة

ورد في كلام العرب وفي القرآن الكريم جمل وجّهت على أنها صفات، ولكن هذه الجمل سبقتها (واو) أعربها قسم من النحاة والمفسرين (واو صفة).

والقياس عند النحاة هو منع وقوع الواو قبل جملة الصفة، وذهب قسم من النحاة إلى أنّ هذه الواو إذا وردت فحذفها وزيادتها سواء وعدها قسم آخر واو حال أو استئناف أو تقسيم أو معية.

لكن الزمخشري ذكر أنها واو تفيد تأكيد لصوق الصفة بالموصوف وبذلك جاز لنا تسميتها (واو اللصوق).

وقد تبعه في ذلك قسم من النحاة والمفسرين. وعلى الرغم من أن الزمخشري نصّ على أن الجملة صفة وأن الواو (واو لصوق) لكنّنا وجدنا الفرّاء ومكّيا بن أبي طالب وأبا البركات ابن الأنباري قد سبقوه في الإشارة إلى جملة الصفة ؛ أمّا الواو فذكروا أنّها يمكن حذفها أو بقاؤها.أمّا النحّاس فذكر أنّ بقاء هذه الواو يشير إلى تمام الصفة وانقطاع الكلام.

تعليلات مانعي (واو الصفة)

القياس عند النحاة هو عدم الاعتراف ب(واو صفة) تسبق جملة الصفة يقول ابن مالك:

ونعتوا بجملة منكّرا فأعطيت ما أعطيته خبرا (١)

وممّا أعطيته جملة الخبر أنّها لا تقترن بالواو، بخلاف الجملة الحاليّة ؛ لذلك لم يقل ما أعطيته حالا.

وقد حاول النحويّون تعليل عدم ربط جملة الصفة بالواو، بخلاف جملة الحال فقد منع الرضي ذلك ؛ لأنّ الصفة تتبع الموصوف، وأنّها (جملة الصفة) قد تصدّر بالواو إذا حصل لها

أدنى انفصال وذلك بوقوعها بعد إلاّ نحو :ما جاءني رجل إلاّ وهو فقير.(٢) ولكن هذا المثال الّذي جاء به الرضي لايمكن أن يكون قياسا لشواهد أخرى إذ هنالك نصوص تخلو من إلّا وتقترن فيها الجمل بالواو وأعربت صفة أيضا من ذلك قوله تعالى : ((عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)) سورة البقرة (٢١٦) وقوله ((أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)) سورة البقرة (٢٥٩).

كذلك اعتذر النحويون لربط جملة الحال بالواو دون الصفة ؛ لأنّ الحال تفترق عنها من جهة تقديمها على صاحبها وعدم مطابقتها له في التعريف والتنكير والأعراب (٣) وأنّ (الصفة بمنزلة الجزء من الموصوف) (٤)، ولذلك يذهب الجرجاني إلى أن الجملة الو صفية استغنت عن ربطها بموصوفها بالواو، لأنها متصلة بموصوفها من ذات نفسها دون أن تحتاج إلى رابط(٥) وذكر أن صاحب الحال متى كان نكرة مقدمة عليها مثل (جاءني رجل على كتفه سيف)وجبت الواو لئلا يشتبه بالنعت وعليه خرج السكاكي قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) سورة الحجر ٤. واعترض على الزمخشري في جعل جملة (لها كتاب معلوم) صفة (٦).

أما أبو حيان فذكر أن فالواو لا تفارق أصلها الذي هو العطف، لذلك امتنع عطف الجملة الوصفية على موصو فها لأنه لا يجوز عطف الشيء على نفسه (٧) وقد ذهب أبو حيان إلى ابعد من ذلك إذ صرّح أن دخول الواو على جملة الصفة لم يقل به أحد من النحويين(٨) وصرح بذلك ألمرادي أيضاً(٩).

ولم يكتف مانعو (واو الصفة) بذلك، بل حاولوا ليّ (النكرة) التي جاءت قبل الجملة المقترنة بالواو لجعلها معرفة، فقد ذكر النسفي أن جملة (ولها كتاب معلوم) حال من (قرية) و (قرية) في حكم الموصوفة وتقديرها وما أهلكنا قرية من القرى (١٠) وقد نقل هذا التوجيه أبو السعود في تفسيره وجوز إعراب هذه الجملة صفة، ولكن ليس للقرية المذكورة بل المقدرة التي هي بدل منها.

وتقديرها عنده (وما أهلكنا من قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم) (١١).

وقسم آخر بحث عن صاحب آخر للحال إذ جعل (وهي خاوية على عرُوشها) حالاً من الفاعل المستتر في (مرّ) وضعف كون قرية صاحب الحال (١٢).

وقد ترتب على هذا الاعتبار أن تربط الحال بصاحبها بالواو بحجة خلوها من الضمير العائد عليه.

لا يخفى أن هنالك بعداً كبيراً بين جملة (وهي خاوية) وفاعل (مرّ)،إذ ان (هي خاوية) تعود الى القرية والفاعل المستتر في (مر) يعود الى المار بها وهو (عزير) نبي من بني اسرائيل(١٣) والوصف هنا لقرية وليس للمار بها.

وقد ذهب العكبري في قوله تعالى (ثمّ يتولى فريق منهم وهم معرضون)إلى جواز إعراب (وهم معرضون) حالاً من الضمير هم في(منهم) (١٤) ليتخلص من إعرابها حالاً من(فريق) ؛ لأنه نكرة، ومن إعرابها صفة بحجة وجود (واو) فاصلة بين جملة الصفة والموصوف ويبدو أن هذا التوجيه عند العكبري يخالف المعنى ؛لان المراد وصف (فريق) بالإعراض وليس وصف المشركين عامة به.

الرد على المانعين

يمكننا أن نرد على مانعي (واو الصفة) بأن جميع ما قالوه بشأن الصفة والموصوف يمكن أن ينطبق على الحال وصاحبها، فالحال باتفاق النحويين صفة لصاحبها ولا بدّ من موصوف لها هو (صاحب الحال) فإذا منعوا واو الصفة فهذا يقتضي أن يمنعوا واو الحال أيضا.؟ فضلاً عن ذلك فان الواو قد وردت حقاً ليس قبل جملة الصفة فحسب بل في كل المواضع التي منعوا فيها مجيئها إذ وردت قبل الخبر وبعد إلا أيضا.

فقد ورد في قولهم " ما احد إلا وله نفس أمارة " وقد خرجها النحاة على أنها خلاف الأصل تشبيهاً بالحال، وقول الشاعر:

مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع(١٥)

فجملة (الناس يستشفعون بي) يمكن أن تكون صفة (لزمن) على تقدير الناس فيه، وبدا لنا أيضاً أنّ هذه الواو قد وردت في نصوص من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثمّ يتولى فريقاً منهم وهم معرضون " ذكر مكي بن أبي طالب أنّ جملة (وهم معرضون) ابتداء وخبر في موضع نعت لفريق. أو في موضع الحال، لأن النكرة قد نعتت ولأن الواو واو الحال (١٦) وقد ذكر الجرجاني أن المبتدأ من الجملة متى كان ضمير ذي الحال تصلح بغير الواو البتة لقولك (جاءني زيد وهو راكب دراجة) (وهو جالس) ولو جئت بها بغير الواو لم يكن كلاماً (١٧) إذا كانت الجملة حالاً، والواو واو الحال؟ فما إعراب الواو إذا كانت الجملة صفة ؟ لم يذكر ذلك مكي، وقد أجاز حذف الواو وبقاءها عند إعرابه جملة أخرى تشتمل على الواو وهي قوله

تعالى: ((وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم)) قال : (والجملة في موضع نعت لـ (قرية) ويجوز حذف الواو من (ولها) لو كان في الكلام.

كما بين أبو البركات ابن الانباري أن هذه الجملة صفة في موضع جر. وأجاز حذف الواو وبقاءها في اختيار الكلام لمكان الضمير.(١٨) وبذلك يكون ابن الانباري قد عامل جملة الصفة كما لو أنها جملة حال، لكن الفرّاء قبلهما قد علّق على هذه الآية مستدلاً بآية أخرى وهي قوله تعالى: ((وما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون)) حيث أن الواو التي تسبق جملة (المبتدأ والخبر) يجوز حذفها وبقاؤها، كما تقول في الكلام (ما رأيت أحدا إلا وعليه ثياب، وان شئت عليه ثياب، وكذلك كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا، والكلام في النكرة تام فافعل ذلك بصلتها بعد إلا). (١٩) فالفراء في كلامه هذا كان قد ذهب إلى رأي، ذهب السيوطي فيما بعد إلى خلافه وهو الرأي الذي أسنده إلى ضياء بن العلج من أنّ مجيء الواو في مثل هذه المواضع يمتنع (٢٠) وقد ورد في إعراب النحاس أنّ هذه الواو فيها قولان : الأول إن دخولها وخروجها واحد.

والثاني : إن دخولها يدل على تمام الصفة وانقطاع الكلام (٢١) ومن هنا يكون لهذه الواو توجيه آخر هو الاستئناف. وقيل إنها عاطفة،أو تفيد القسم (٢٢) وعن قوله تعالى ((عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)) سورة البقرة ٢١٦، و((كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)) البقرة ٢٥٩. ذكر الزمخشري أن القياس أن لا يتوسط الواو ولكن إذا توسط لامانع منه إذ يفيد تأكيد اللصوق. وقد قارن هذه الواو بالواو الحالية من حيث جواز الحذف والإثبات، وذكر أن هذه الواو تزيد التصاق الصفة بالموصوف. وتفيد ثبوت الصفة وتقوية دلالة الجملة على الو صفية (٢٣) وقال عن هذه الواو" هي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً من المعرفة "(٢٤) ي أنه ساوى (واو الحال) و (واو الصفة). وأضاف: " فائدتها تفيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجّحوا الظنّ كغيرهم (٢٥)

يتبين مما سبق أنّ:

١- القياس عند النحاة هو منع توسيط (الواو) بين المنعوت و(جملة النعت).

٢- جاءت النصوص القرآنية بشكل خاص حاوية على هذه الواو وفي المواضع التي نصّوا على منعها أو عدّها زائدة، ووقع النحاة والمفسّرون في إشكال عندما عدّوها واو حال.

٣- وجدنا عند المفسرين والنحاة (قسم منهم) توجيهات مختلفة لهذه الواو، فقسم عدّها واو حال أو استئنافية أو للتقسيم. وعدّها قسم آخر واواً يمكن حذفها أو بقاؤها لكن الزمخشري ومن تبعه عدّوها (واو لصوق).

٤- كان الفراء قد سبق مكياً وأبا البركات في الإشارة إلى هذه الجملة (جملة الصفة بعد الواو) كما أشار إلى إمكان حذف الواو وبقائها.

٥-نصّ الزمخشري على تسمية هذه الواو ب(واو اللصوق) وبين السبب في ذلك.

والذي يبدو لي أن المعنى وارتباط الجملة بما قبلها بشكل خاص هو الذي يحدد توجيهها النحوي. فضلاً عن المفردة السابقة لها في التركيب تنكيراً وتعريفا ًكالآتي:

١- إذا كانت الواو واقعة بعد إلا وما قبلها نكرة فلا يمكن أن نعدها واو استئناف أو واو تقسيم ولكن يمكن عدّها واو صفة على رأي الزمخشري.

٢- قياساً على ما يسميه النحاة (واو الحال) يمكن أن نسمّيها واو الصفة.

٣- إذا صحّ أن يوجه (المنعوت) على أنّه نكرة فالجملة نعت والواو واو صفة.أما إذا وجه المنعوت على أنه معرفة للجملة فيمكن أن تكون حالية والواو واو حال، أو أن تكون الواو ظرفاً أو للمعية.

٤- إذا أمكن حذف الواو دون أن يؤثّر ذلك على المعنى يمكن أن نقول إنها زائدة وان الجملة التي بعدها تعرب صفة، إذا كان صاحب الصفة نكرة.

الهوامش

١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / تحقيق محي الدين عبد الحميد /٢ :١٩٥

٢- ينظر شرح الرضي/٢ :٤١

٣- ينظر المشاكلة بين واو الحال و واو المصاحبة في النحو العربي/رسالة ماجستير /عبد الجبار فتحي زيدان /إشراف الأستاذ عبد الجبار علوان /جامعة الموصل/١٩٨٨ /١٤١.

٤- الحجة في القراءات السبع/أبو علي النحوي/١ :١٠٩

٥- ينظر دلائل الإعجاز /٢٢٧

٦- نفسه/٢٢١ ومفتاح العلوم /تحقيق أكرم عثمان يوسف/٤٨٨ -٤٨٩ والفصول المفيدة في الواو المزيدة /صلاح الدين كيلكدي /تحقيق حسن موسى الشاعر./١ :١٦٦ -١٦٧

٧- ينظر البحر المحيط /٦ :١١٤-١١٥ و الأشباه والنظائر /السيوطي /٢ :٢٣١و روح المعاني الآلوسي/١ :٤٧٥

٨- ينظر البحر المحيط /٦ :١١٥

٩- ينظر الجنى الداني /تحقيق فخر الدين قباوة /١٦٨

١٠-ينظر تفسير النسفي/٢: ٢٦٨ -٢٦٩

١١- ينظر تفسيرابي السعود/٣: ١٤١

١٢- ينظر البحر المحيط/٢: ٢٩١، وتفسير ابي السعود/١: ١٩٢،وحاشية الجمل على الجلالين/١: ٢١٢،وروح المعاني /١: ٤٧٥

١٣-ينظر زاد المسير (تفسير ابن الجوزي)١: ٣٠٩،و المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي /٢٣١

١٤-ينظر التبيان في اعراب القرآن /١: ٢٤٩

١٥-نسب الشاهد إلى مجنون ليلى /الديوان /١٩٢

١٦-ينظر مشكل إعراب القرآن /١ :

١٧-ينظر دلائل الإعجاز /٢٢١

١٨-ينظر البيان في إعراب القرآن /١ :١٩٦

١٩-معاني القرآن /٢ :٨٣

٢٠-ينظر الأشباه والنظائر /٢ :/٢٣١

٢١-ينظر إعراب النحاس /٢ :١٩٦

٢٢-ينظر الجنى الداني ١٦٩

٢٣-الكشاف /٢ :٤٧٩

٢٤-نفسه /نفس الصفحة وينظر الجنى الداني /١٦٨

٢٥-الكشاف /٢ :٤٧٩

المصادر والمراجع

١- الاشباه والنظائر في النحو/جلال الدين السيوطي تح طه عبدالرؤوف سعيد مكتبة الكليات الأزهرية /شركة الطباعة الفنية المتحدة/١٩٧٥م

٢- اعراب القران /ابو جعفر النحاس / تح زهير غازي / مطبعة العاني بغداد/١٣٩٧هـ

٣- البحر المحيط/ ابو حيان الاندلسي /مطبعة السعادة /مصر/١٣٢٨هـ

٤- البيان في غريب اعراب القران/ ابو البركات ابن الانباري /تح طه عبد الحميد طـــه / الهيئة المصرية العامة / دار الكاتب العر بي ١٣٩٨هـ

٥- التبيان في اعراب القران /ابو البقاء العكبري /تح محمد علي البجاوي /عيسى البـــابي الحلبي /مصر ١٣٩٦هـ

٦- تفسير ابي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكر يم) ابو السعود محمد بـــن محمد العمادي /مطبعة محمد علي صبيح/ مصر.

٧- تفسير النسفي /عبدالله بن محمد بن محمود النسفي /دار الفكر للطباعـــة والنشـــر /دار احياء الكتب العربية /عيسى البابي الحلبي وشر كاه

٨- الجنى الداني في حروف المعاني /صنعة الحسن بن القاسم المرادي /تح فخـــر الديـــن قباوة /منشورات دار الآفاق الجديدة

٩- حاشية الجمل على الجلالين /المسماة الفتوحات الالهيةلتوضيح تفسير الجلالين للدقـــائق الخفية/سليمان الجمل /مطبعة مصطفى محمد /١٣٥٢هـ

١٠- الحجة في القراءات السبع/ابو علي النحوي/ج١ /تح علي النجدي ناصف وآخرين

١١- دلائل الاعجاز /عبد القاهر الجرجاني/تح محمودمحمد شاكر /مكتبة الخانجي/مطبعـــة المدني القاهرة

١٢- ديوان مجنون ليلى /جمع وتحقيق وشرح عبد الستار احمد فراج/دار مصـــر للطباعـــة القاهرة

١٣- روح المعاني في تفسير القران الكريم /محمود الآلوسي البغدادي /المطبعـــة الكـــبرى الميرية /بولاق مصر /١٣٠١هـ

١٤- زاد المسير في علم التفسير /عبد الرحمن بن علي الجوزي ٨المكتب الاسلامي بـــيروت /ط٣ /١٤٠٤ هـ

١٥- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك /تح محمد محي الدين عبد الحميد/مطبعة الســـعادة مصر ١٣٨٤هـ

١٦- شرح الرضي على الكافية /تح يوسف حسن عمر/منشورات جامعـــةبنغازي /مطـــابع الشروق/بيروت ١٩٧٣م

١٧- الفصول المفيدة في الواو المزيدة /صلاح الدين ابو سعيد بن كيلكدي/تح حسن موســـى الشاعر

١٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل /الزمخشري/دار الكتاب العربي بيروت

١٩- المشاكلة بين واو الحال واو المصاحبة في النحو العربي /رسالة ما جستير /عبد الجبار فتحي زيدان/اشراف ا.عبد الجبارعلوان/جامعة الموصل ١٩٨٨ م

٢٠- مشكل اعراب القران / مكي ابن ابي طالب /تح حاتم الضامن /مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ

٢١- معاني القران / ابو زكريا الفراء / تح احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار /عالم الكتب بيروت ١٩٨٠م

٢٢- مفتاح العلوم /السكاكي/ مطبعة بابي الحلبي وأولاده/ مصر ١٩٣٧م